

روح المعاني

هي أشرف الفضائل قوامين بحقوقها بحيث تكون ملكة راسخة فيهم لا يمكن معها جور في شيء ولا ظهور صفة نفس لاتباع هوى في جلب نفع دنيوى أو رفع مضرة كذلك ثم قال جل علا : يا أيها الذين آمنوا من حيث البرهان آمنوا من حيث البيان الى أن تؤمنوا من حيث العيان أو يا أيها الذين آمنوا بالايمان التقليدى آمنوا بالايمان العينى أو المراد يا أيها المدعون تجريد الايمان لى من غير وساطة لاسبيل لكم إلى الوصول الى عين التجريد إلا بقبول الوسائط فالآية إشارة إلى الفرق بعد الجمع إن الذين آمنوا بالتقليد ثم كفروا إذ لم يكن للتقليد أصل ثم آمنوا بالاستدلال العقلى ثم كفروا إذ لم تكن عقولهم مشرفة بالنور الالهى ثم ازادوا كفرا بالشبهات والاعتراضات وقد يكون ذلك إشارة إلى وصف أهل التردد فى سلوك سبيل أولياء الله تعالى والايمان بأحوالهم حين هاجت رغبتهم إلى رياسة القوم فلما جن عليهم ليل المجاهدات لم يتحملوا وانكروا ورجعوا إلى حظوظ أنفسهم ولما رأوا نهاية الأكابر ووطنوا للحقوق بهم لو استقاموا وآمنوا فلما يصلوا إلى شيء من مقامات القوم وكراماتهم لعدم إخلاصهم وسوء استعدادهم ارتدوا وصاروا منكبين عليهم وعلى مقاماتهم وازادوا إنكارا حين رجعوا إلى اللذات والشهوات واختاروا الدنيا على الآخرة وجعلوا يقولون للخلق : إن هؤلاء ليسوا على الحق فقد سلكننا ما سلكوا وخضنا ما خاضوا فلم نرى إلا سرايا بغيعة وهذا حال كثير من علماء السوء المنكرين على القوم قدس الله أسرارهم ما كان الله ليغفر لهم لمكان الريب الحاجب وفساد جوهر القلب وزوال الاستعداد ولا ليهديهم سبيلا إلى الحق ولا إلى الكمال لعدم قبولهم ذلك الذين يتخذون الكافرين أولياء لمناسبتهم إياهم وشبهه الشيء منجذب اليه من دون المؤمنين لعدم الجنسية أيبغون عندهم العزة أى يطلبون التعزز بهم فى الدنيا والتقوى بمالهم وجاههم فان العزة للجميع فلا سبيل لهم اليها إلا منه سبحانه D ثم ذكر سبحانه من وصف المنافقين أنهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى لعدم شوقهم إلى الحضور ونفورهم عنه لعدم استعدادهم واستيلاء الهوى عليهم يراءون الناس لاحتجاجهم بهم عن رؤية الله تعالى ولا يذكرون إلا قليلا لأنهم لا يذكرونه إلا باللسان وعند حضورهم بين الناس بخلاف المؤمنين الصادقين فنهى إذا قاموا إلى الصلاة يطيطون اليها بجناح الرغبة والرغبة بل يحنون الى أوقاتها .

حينئذ اعرابية حنت إلى أطلال نجد فارقتة ومرخه ومن هنا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لبلال : أرحنا يا بلال يريد E أقم لنا الصلاة لنصلى ونستريح بها لامنها وطن الأخير برسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا والعياذ بالله تعالى وإذا عبدوا لا يريدون إلا الله تعالى

وما قدر السوى عندهم ليراءوه وإن كل جزء منهم يذكر الله تعالى نعم إنهم قد يشتغلون به عنه فهناك لايتأتى لهم الذكر وقد عد العارفون الذكر لأهل الشهود ذنباً ولهذا قال قائلهم : بذكر الله تزداد الذنوب وتنكشف الرذائل والعيوب وترك الذكر أفضل كل شيء وشمس الذات ليس لها مغيب لكن ذكر بعضهم أنه لا يصل العبد إلى ذلك المقام إلا بكثرة الذكر وأشار إلى مقام عال من قال : لا يترك الذكر إلا من يشاهده وليس يشاهده من ليس يذكره والذكر ستر مذكوره ستر فحين اذكره في الحال يستره فلا أزال على الاحوال أشاهده ولا أزال على الأنفاس أذكره